

العدل

العدل اسم من أسماء الله تعالى الحسنى ، وصفة من صفاته ، كما أنه قيمة إنسانية وحضارية دعا إليها الإسلام ، وجعلها مقصدًا من مقاصد شريعته .

والعدل معناه : إعطاء كل ذي حق حقه من الأقوال والأفعال بغير تفرقة أو تمييز أو محاباة .

وقد عُرِفَ الإسلام بعدله بين الشرائع والأديان وانتشر به بين البلدان؛ فهو غاية كل مجتمع ، وفريضة واجبة على المسلم نحو غيره ، فهو من أهم الأسس التي يقوم عليها التعايش السلمي بين أفراد المجتمع ، فالإسلام قَدْ حَفِظَ حَقُوقَ الْآخِرِينَ وَصَانَهَا ، ونصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ شاهِدَةٌ عَلَى هَذَا ، فقد جاءت آيات القرآن الكريم تأمر بالعدل وتحث عليه ، وتدعو إلى التمسك به، يقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ} [النحل: ٩٠]، ويقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ...} [النساء: ٥٨] ، فالأمر في الآية عام في إيصال الحقوق إلى أصحابها ، وهو صورة من صور العدل في التعامل بين الناس أيا كانت عقيدتهم ، ثم انتقل الأمر من العدل العام إلى العدل الخاص في الحكم، فقال تعالى: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} [النساء: ٥٨] ، فالمسلم مطالب بأن بالعدل مع جميع الناس سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ} [المائدة: ٨] أي: لا تحملكم عداوتكم وخصومتكم لقوم على ظلمهم، بل يجب العدل مع الجميع سواء أكانوا أصدقاء أم أعداء.

وهذا ما أكده القرآن الكريم بقوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ..} [الحديد : ٢٥] ، وقال تعالى مخاطبًا نبيه داود (عليه السلام): {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [ص: ٢٦] ، وأوجه الله (تعالى) على

النبي (صلى الله عليه وسلم) وأمره به ، فقال تعالى: {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ...} [الشورى: ١٥].

وكذلك حثَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) على العدل وعدم الظلم وخاصة مع غير المسلمين في أحاديث كثيرة، منها ما أخرجه أبو داود في سننه، عن عدة من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا يَغْيِرُ طَيْبَ نَفْسٍ، فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (لَتَوَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يَقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ) (رواه مسلم).

وقد أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه بالعدل ، فعَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِذَا حَكَمْتُمْ فَأَعْدِلُوا، وَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ) (المعجم الأوسط)، وأكد على ذلك رَبِيعُ بْنُ عَمْرِو (رضي الله عنه) عندما سأله رستم قائد الفرس قائلاً: مَا جَاءَ بِكُمْ ؟ فَقَالَ: اللَّهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمَنْ ضِيقَ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا ، وَمَنْ جَوْرَ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ) (البداية والنهاية).

ولقد سار الخلفاء الراشدون على هذا المنهج النبوي في العدل مع غير المسلمين، فهذا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقتص للقبطي في مظلّمته من عمرو بن العاص والي مصر وابنه ، وقال مقولته التي أضحت مثلاً: يا عمرو ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟.

ثم رَغِبَ النبي (صلى الله عليه وسلم) في إقامة العدل بين الناس بأكثر من أسلوب، مبيّناً ثمرات العدل في تربية النفوس وتقويمها وإصلاح أمرها ، ومن ذلك :

أولاً : مضاعفة الأجر والثواب ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال :
(لَعَمَلُ الْعَادِلِ فِي رَعِيَّتِهِ يَوْمًا وَاحِدًا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الْعَابِدِ فِي أَهْلِهِ مِائَةَ عَامٍ . أَوْ خَمْسِينَ عَامًا .)
(رواه الهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث).

ثانيا : الاستغلال بظل الرحمن ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن

النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (سَبَعَةُ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ،
وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا
عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا
تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)
(رواه البخاري).

ثالثا : النجاة من المهالك ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
قال : (ثَلَاثُ مُنْجِيَاتٍ، وَثَلَاثُ مُهْلِكَاتٍ، فَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ: فَتَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالْقَوْلُ بِالْحَقِّ
فِي الرِّضَا وَالسُّخْطِ..) (شعب الإيمان) ، ومن القول بالحق القول بالعدل.

رابعا : استجابة الدعاء: فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):
(ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ..) (رواه الترمذي).

خامسا : القرب من الله ومحبته: فعن زهير (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
(إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ
يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا) (رواه مسلم) ، وعن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال : قال
رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ
عَادِلٌ...) (رواه الترمذي).

سادسا: البعد عن النار والفوز بالجنة: فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله

عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (..فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ

أَنْ يُرْحَزَ عَنِ النَّارِ ، وَيَدْخَلَ الْجَنَّةَ ، فَلْتُدْرِكْهُ مَوْتَتُهُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ) (رواه النسائي).

سابعا: الأمن من عذاب الله تعالى، والأمن من الشقاء في الدارين: فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشْرَةَ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولا، لَا يَفُكُّهُ إِلَّا الْعَدْلُ ، أَوْ يُؤْبَقُهُ الْجَوْرُ) (رواه أحمد)، وعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقْسِمُ غَنِيمَةً بِالْجِعْرَانَةِ، إِذْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: اْعْدِلْ، فَقَالَ لَهُ: (لَقَدْ شَقِيتُ إِنْ لَمْ اْعْدِلْ) (رواه البخاري).

مجالات العدل في القرآن والسنة:

تنوعت مجالات العدل لتشمل جميع مجالات الحياة المادية والمعنوية والاجتماعية وغيرها ، ومن ذلك :

أولا : عدل الإنسان مع الله تعالى: ويكون بعبادته وحده لا شريك له، فالعبادة حق من حقوق الله (عز وجل) ، فعن معاذ (رضي الله عنه) قال: أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: (يَا مَعَاذُ) قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ قَالَ مِثْلَهُ ثَلَاثًا : (هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟) قُلْتُ: لَا، قَالَ: (حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، فَقَالَ: (يَا مَعَاذُ) قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: (هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ) (رواه البخاري)، والشرك بالله تعالى ظلم عظيم قال تعالى: {إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣].

ثانياً: عدل الإنسان مع نفسه : ويكون بعدم الغلو في ممارسة العبادات ،

والمعاملات ، وسائر شرائع الإسلام ، أو تجاوز الأمر والنهي إلى غيره ، أو

عدم فعل أمر يعرض الإنسان به نفسه لعذاب الله ، قال تعالى : {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ} [الطلاق: ١].

ثالثاً: عدل الإنسان مع غيره وله مظاهر متنوعة تشمل جميع مناحي الحياة منها :

العدل والمساواة في الأسرة : وهو مطلب شرعي وضرورة لاستقرارها وأمنها وسعادتها، فبدونه يفقد أفراد الأسرة لذة الحياة ونعيمها ، كما يفقدون المعنى الحقيقي للسكون والمودة والرحمة...وله صورتان :

الصورة الأولى: إذا كان الرجل متزوجاً بأكثر من واحدة وجب العدل والمساواة بينهما، وإلا حُرِّمَ عليه التعدد ، قال تعالى: {فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا} [النساء: ٣].

وحدّر النبي (صلى الله عليه وسلم) من الجور بين الزوجات ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ لِأَحَدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجْرُ أَحَدَهُ شِقِيهَ سَاقِطًا أَوْ مَائِلًا) (رواه أحمد)، أما الأمور القلبية والنفسية فمن رحمة الله أنه نفى استطاعة عدل الإنسان فيها ، فرفع عنه مشقة العدل ؛ لأن الإنسان لا يملكها ، فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ ، وَيَقُولُ: (اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي، فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلْمِني، فِيمَا تَمْلِكُ، وَلَا أَمْلِكُ) (رواه أبو داود).

والصورة الثانية: العدل والمساواة بين الأبناء وعدم التفرقة بينهم في المعاملة المادية (كالنفقة والعطايا) ، والمعنوية (كالقبلة ، والبشاشة ، والحب...)، فإن التفرقة بين الأبناء تجلب الشقاق وتزرع الحقد والغل والحسد والكراهية بينهم، فعن العُمان بن بشير (رضي الله عنه) قال: تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي

بِعَضِّ مَالِهِ، فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)،
فَانْطَلَقَ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِيُشْهَدَهُ عَلَى صَدَقَتِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟) قَالَ: لَا، قَالَ: (اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ)، فَرَجَعَ أَبِي،
فَرَدَّتْ تِلْكَ الصَّدَقَةَ (رواه مسلم).

وكان بعض الصالحين إذا قبل أحد أبنائه الصغار يقبل الآخر مثله خشية أن يقع في نفس الآخر
أذى، أو يزرع الشيطان بينهما .

العدل مع الخصوم ، وهذا مظهر من مظاهر عظمة الإسلام به تتضح المفاهيم الخاطئة التي يروج لها
أعداء الإسلام لتشويهه والنيل منه، فقد أمر الله تعالى به فقال سبحانه: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى
أَنْ لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [المائدة: ٨] أَي: لَا يَحْمِلَنَّكُمْ كَرِهَكُمْ وَبَغْضَكُمْ لِقَوْمٍ تَرَكُوا
الْعَدْلَ مَعَهُمْ، وَحَذَّرَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ ظُلْمِ الْمَعَاهِدِ، فَعَنِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ)، أَنَّهُ قَالَ: (أَلَا مَنْ ظَلَمَ مَعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ
نَفْسٍ، فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (سنن أبي داود).

العدل والمساواة بين المتخاصمين: وهو سمة من سمات الإسلام

ودعوة صريحة للقيام به، قال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ
إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ
وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: ٩] ، فالله تعالى أمر أن يكون الصلح قائماً على العدل
والمساواة ؛ لأنهما أساس الاستقرار في الحياة؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل والمساواة قامت وسعد بها
أهلها وتنعّموا بكل ما فيها ، روي عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) اخْتَصَمَ
إِلَيْهِ مُسْلِمٌ وَيَهُودِيٌّ، فَرَأَى أَنَّ الْحَقَّ لِلْيَهُودِيِّ ، فَقَضَى لَهُ عُمَرُ ، فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: وَاللَّهِ لَقَدْ قَضَيْتَ
بِالْحَقِّ، فَضَرَبَهُ عُمَرُ بِالدَّرَّةِ ، ثُمَّ قَالَ: مَا يُدْرِيكَ؟ قَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّا نَجِدُ، أَنَّهُ لَيْسَ قَاضٍ يَقْضِي بِالْحَقِّ،

إِلَّا كَانَ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكٌ، وَعَنْ شِمَالِهِ مَلَكٌ، يُسَدِّدَانِهِ، وَيُؤَفِّقَانِهِ لِلْحَقِّ، مَا دَامَ مَعَ الْحَقِّ، فَإِذَا تَرَكَ الْحَقَّ عَرَجًا وَتَرَكَاهُ (موطأ مالك).

لقد ضرب الإمام علي (رضي الله عنه) أعظم الأمثلة في العدل والمساواة حين تنازع يهودي معه في قضية حتى رفع الأمر إلى عمر (رضي الله عنه)، فمثلا أمامه، فقال عمر (رضي الله عنه) لعلي (رضي الله عنه): قف يا أبا الحسن، فظهر الغضب على وجهه، فقال له عمر (رضي الله عنه): أكرهت أن نسوي بينك وبين خصمك في مجلس القضاء؟، قال علي: لا، ولكن كرهت منك أن عظمتني في الخطاب ولم تصنع مع خصمي مثل ما صنعت معي (أصول العلاقات الإسلامية في المجتمع الإنساني) ، وروي أن الإمام علياً (رضي الله عنه) فقد درعه فوجدها عند نصراني فقال: هَذِهِ دُرْعِي ، بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَاضِي الْمُسْلِمِينَ شَرِيحٌ ، فَقَالَ شَرِيحٌ: مَا تَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟. قَالَ: عَلِيُّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) هَذِهِ دُرْعِي دَهَبَتْ مِنِّي مُنْذُ زَمَانٍ ، فَقَالَ شَرِيحٌ: مَا تَقُولُ يَا نَصْرَانِي؟ قَالَ: مَا أُكْذِبُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!! الدَّرْعُ هِيَ دُرْعِي ، فَقَالَ شَرِيحٌ: مَا أَرَى أَنْ تُخْرَجَ مِنْ يَدِهِ، فَهَلْ مِنْ بَيِّنَةٍ؟ فَقَالَ عَلِيُّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) : صَدَقَ شَرِيحٌ ، فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ: أَمَّا أَنَا أَشْهَدُ أَنَّ هَذِهِ أَحْكَامُ الْأَنْبِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَجِيءُ إِلَى قَاضِيهِ، وَقَاضِيهِ يَقْضِي عَلَيْهِ، هِيَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُرْعُكَ ، اتَّبَعْتُكَ مِنَ الْجَيْشِ وَقَدْ زَالَتْ عَنْ جَمَلِكَ الْأُورُقِ ، فَأَخَذْتُهَا ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ عَلِيُّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَمَّا إِذَا أَسْلَمْتَ فَهِيَ لَكَ (السنن الكبرى للبيهقي).

العدل والمساواة في المعاملات المادية ، حتى يستوفي الناس حقهم في البيع والشراء ولا ينقص منها شيئاً دون تمييز لأحد ، قال تعالى: {وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} [الرَّحْمَن: ٩]، كما أن توثيق الدين بالكتابة من العدل ، والإشهاد عليه بالعدل ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ

الْحَقُّ سَفِيهَا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِلْ وَيُيِّهِ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ...} [البقرة: ٢٨٢]، وفي ذلك إرساء للمعاملات المالية المؤجلة .

العدل في أداء الشهادة: وهو دعوة الإسلام ووصيته لأتباعه حتى وإن كانت الشهادة في صالح غيرهم أو ذات أثر يعود بالضرر عليهم؛ قال تعالى: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام: ١٥٢].

العدل والمساواة مع أهل الكتاب: وهو دليل قبول الآخر واحترامه والتعايش السلمي معه ، فقد أمر الله تعالى به دون تفرقة بين مسلم وغيره، قال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨]، فالأمر بالبر والقسط يشمل جميع الملل، وقدّم الله تعالى البر على القسط؛ لأن القسط صورة من صور البر.

ولقد عاتب الله نبيه (صلى الله عليه وسلم) في رجل من أهل الكتاب همّ رسول الله أن يفرق بينه وبين غيره في الحكم قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا..} [النساء: ١٠٥]، وسبب نزولها أن رجلاً من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر سرق درعاً من جاره قتادة بن النعمان في جرابٍ دقيقٍ ، فجعل الدقيقُ يَنْتَثِرُ من خرقٍ فيه ، فخبأها عند زيد بن السمين اليهودي ، فالتمست الدرعَ عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علمٌ فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال: دفعها إليّ طعمة وشهد له ناسٌ من اليهود فقالت بنو ظفر : انطلقوا بنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهمّ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) أن يفعل فنزلت. (تفسير البيضاوي).

وفي ذلك برهان ساطع على أن الإسلام يفرق بين الوصف بالكفر ومعاملة الكافر ، فيؤكد أن الكافر له حقوق على المسلم ، منها : أن يعامل بعدل وإنصاف دون تفریق في المعاملات ، وذلك بياناً لمحاسن الإسلام وترغيباً فيه ، وغير ذلك من مجالات العدل وصوره في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فهي أكثر من أن تحصى .

فإذا ما تحقق العدل في المجتمع تحقق الأمن والأمان والاستقرار والنصر على الأعداء ، فعن عبد الله (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِثِّي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمَهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئْتُ ظُلْمًا وَجَوْرًا) (رواه أبو داود).